البطريرك والمفتون

صحيفة "الفوليو" الإيطالية ، 18.10.2007

(تقع مسؤولية بطريرك سكولا على الجمل بين قوسين فقط).

يبدي بطريرك البندقية، الكردينال أنجيلو سكولا، في هذه المقابلة الخاصة مع صحيفة "الفوليو" الإيطالية انفتاحا على روحية رسالة العلماء المسلمين المئة والثلاثين، "كلمةٌ سواء بيننا وبينكم"، واضعا هكذا نهايةً للتكتّم الذي أبدته الكنيسة حتّى اليوم. مع استثناء وحيد، هو الكردينال جان لوي توران، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، الذي قال على صفحات عدد السبت الماضي من "الفوليو" أنّها "وثيقة غير جدالية موقّعة من مسلمين سنّة وشيعة، ومليئة بالاستشهادات من العهد القديم والجديد" مضيفًا: "لقد تأثّرت بهذا الخصوص بكون الاستشهادات المتعلّقة بيسوع المسيح مقتبسة من الأناجيل وليس من القرآن، وأظن أن هذا لم يحصل من قبل". "إنّها إشارة جد مشجعة، إذ تؤكّد أنّه بإمكان الإرادة الحسنة والحوار أن يتغلّبا على الأفكار المسبقة. إنّها تأمل روحي عن محبة الله". هذا ما قاله توران، أما في ما تبقّى فإن تكتّم الكنيسة قد لاحظته أيضا وكالات الأنباء العالمية، بدءا من وكالة رويترز.

«إن الوثيقة هي بالتأكيد إشارة مشجعة»، يقول الكردينال سكولا. «من الجدير بالملاحظة قبل كلّ شيء عدد الموقّعين ومكانتهم. لسنا هنا بصدد أمرٍ إعلامي فقط لأن الإجماع بالنسبة للإسلام هو مصدر من مصادر علم الكلام والشريعة. وقد أفادني محررو مجلّة الواحة أنّه، وإن تحاشى الموقّعون إعطاء صبغةَ فتوى على الوثيقة، إلا أنّه لم يتمكّن أي بيان صادر عن جماعة متطرفة أبدا من التباهي بحشد إجماع شبيه بالذي تشهد به التواقيع المئة والثلاثون في أسفل الرسالة المفتوحة. إن المقاربة واقعية، فـ "إذا لم يكن المسلمون والمسيحيون في حالة سلام، فلا يمكن للعالم أن ينعم بالسلام"، ويودون ببساطة في نهاية الأمر أن يقولوا كمسلمين "للمسيحيين إنّنا لسنا ضدهم، وإن الإسلام ليس ضدهم – ما داموا لا يشنّون الحرب ضد المسلمين بسبب دينهم". وبهذا الخصوص يقدم الزعماء المسلمون أنفسهم بطيبة خاطر كـ "الآخرين" الذين يقول عنهم يسوع "من ليس ضدي فهو معي"».

يبدو للمرة الأولى أن عددا كبيرا من علماء الإسلام قد نبذ ثقافة رفض الغرب وغير المسلمين. «فالوثيقة تقيم خطًا من التقليد الإسلامي جرى استبعاده جزئيا بسبب تصاعد التطرف، وذلك بهدف المحبة المزدوجة، محبة الله ومحبة القريب. فالإنسان، كما تقول الوثيقة، "لها ثلاث ملكات رئيسة: العقل أو الذكاء: المخلوق لفهم الحقيقة؛ والإرادة: المخلوقة من أجل حرية الاختيار؛ والعاطفة: المخلوقة من أجل حب الخير والجمال". وبالإضافة إلى ذلك نلحظ بين السطور إدانة للإرهاب:

"نقول لأولئك الذين يستسيغون النزاع والدمار من أجل أهوائهم بالرغم من ذلك، أو يحسبون أنهم سوف يحققون الفوز في نهاية المطاف من خلال النزاع والدمار: ... (أن يبذلوا) كل الجهود المخلصة الممكنة لإحلال السلام". إن التجذّر في التقليد الإسلامي مهم جدا ويجعل النص أكثر مصداقية من بيانات أخرى صيغت بقالب أكثر غربية». وفي المقدمة يذكّر المئة والثلاثون بأنّنا "نشكّل معا أكثر من 55٪ من عدد سكان العالم"، وهذه مقاربة تكتيكية وسياسية. ولهذا فإن الكردينال توران قال إن الرسالة تفتح آفاقًا جديدة لكنّها بحاجة إلى تعميقٍ لجعلها أكثر موضوعية لا انتقائية، عالمية وأقلّ سياسية.

وعِوض توجيه انتقادات للرسالة يفضل سكولا التحدث عن «تحديد ربما ضروري. لا يجب أن نطالب الوثيقة بأكثر مما تستطيع تقديمه. إنّها فقط منطلقٌ لحوار لاهوتي يهدف، في جو أرحب من الثقة المتبادلة، إلى التحقيق في مضمون الركنين (محبة الله ومحبة القريب) في التقليدين الدينيين».

وكان البطريرك قد عقد قبل سنة في القاهرة لقاء لمجلّة الواحة نصف السنوية تحت عنوان "الحقوق الأساسية والديموقراطيات"، بالتعاون مع جامعة الأزهر وشخصيات هامة كاثوليكية وأكاديميين غربيين وأعضاء في المؤتمر اليهودي العالمي. ويتابع سكولا مؤكّدا أن «هذا الحوار اللاهوتي ليس ممكنًا البتّة إن لم تكن الثقة موجودة". "لقد سبق لي أن تناقشت في مناسبات عامة في القاهرة والولايات

المتّحدة مع ثلاثة من الموقّعين على الوثيقة، هم السيد حسين نصر، والأستاذين أحمد الطيب ومزمل صِديقي، واستطعت أن أتبين أن هذه الثقة المتبادلة حقيقية. أمنيتي هي أن تُقرأ هذه الوثيقة وتنتشر واسعا في العالم الإسلامي وفي الغرب».

هل يمكن اعتبار أن الوثيقة تُؤكّد أن بنديكتوس السادس عشر قد دشّن خطّا كبيرا في ريغنسبورغ؟

«لقد حركت مداخلة البابا دينامية جديرة كثيرا بالاهتمام داخل الإسلام. وكما يعترف الموقّعون أنفسهم، إن التداخل في العالم المعاصر بين المسيحيين والمسلمين كبيرة لدرجة تجعل من المستحيل تأجيل اتّخاذ موقفٍ حيال مشكلة التعايش بين الديانات المختلفة». يبدو أن الحوار مع الإسلام متوقّف عند نقطة ثابتة. «تشير الوثيقة إلى نقطة انطلاق من أجل حوار أصيل. وهذا يتطلّب دائما شرطين: الانكشاف والبحث عن حياة جيدة. يبدو لي أن الموقّعين على الرسالة يسيرون بثبات في هذا الاتّجاه، من حيث أنّهم يدعون المسيحيين إلى نوعٍ من "المحاكاة الروحية"، إلى منافسة في عمل الخير: "لنتنافس فقط فيما بيننا في ميادين الفضيلة والخَيرات"».